

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال { وما للظالمين من أنصار } أي يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته .

وقوله : { إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي } أي إن أظهرتموها فنعم شيء هي .

وقوله : { وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم } فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة] والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [سبعة يظلهم الله في يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه] وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قال [لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الله الجبال فقالت : يا رب هل في خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم الماء قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم الريح ؟ قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله] وقد ذكرنا في فضل آية الكرسي عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله أي الصدقة أفضل ؟ قال [سر إلى فقير أو جهد من مقل] رواه أحمد ورواه ابن أبي حاتم من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن أبي ذر فذكره وزاد ثم شرع في هذه الآية { إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم } الآية وفي الحديث المروي [صدقة السر تطفئ غضب الرب] وقال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي حدثنا الحسين بن زياد المحاربي مؤدب محارب أنا موسى بن عمير عن عامر الشعبي في قوله : { إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم } قال

: أنزلت في أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما أما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم [ما خلفت وراءك لأهلك يا عمر ؟] قال : خلفت لهم نصف مالي وأما أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم [ما خلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر ؟] فقال : عدة [وعدة رسوله فبكى عمر B وقال : بأبي أنت وأمي يا أبا بكر وا] ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقا وهذا الحديث روي من وجه آخر عن عمر B وإنما أوردناه هنا لقول الشعبي : إن الآية نزلت في ذلك ثم إن الآية عامة في أن إخفاء الصدقة أفضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسيره هذه الآية قال : جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها فقال بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها فقال بخمسة وعشرين ضعفا .
وقوله : { ويكفر عنكم من سيئاتكم } أي بدل الصدقات ولا سيما إذا كانت سرا يحصل لكم الخير في رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرئ ويكفر بالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله : { فنعمما هي } كقوله : { فأصدق وأكن } وقوله : { وا } بما تعملون خير { أي لا يخفى عليه من ذلك شيء وسيجزىكم عليه